مضايق تيران
في أزمة الشرق الأوسط

أ. د. احمد عبد الرحيم مصطفى ★★

لم يلعب خليج العقبة دورا ذا بال في التاريخ الحديث ــ فلقد كانت تسيطر على البحر الاحمر برمته كل من الدولة المملوكية والدولة العثمانية واخيرا بريطانيا الى أن افل نجمها في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، مما اثار مشكلات جديدة في منطقة الشرق الاوسط وغيرها من مناطق النفوذ البريطاني السابق ترتبط جميعها بانهيار السلام الاستعماري البريطاني .

اما مشكلة مضايق تيران فانها ترتبط بقيام اسرائيل ووصولها الى خليج العقبة . فلقد منحت صحراء النقب لاسرائيل طبقا لقرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة في عام ١٩٤٧ ، وذلك على اثر المحادثة الدرامية التي جرت بين حاييم ويزمان ــ رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ــ والرئيس الامريكي ترومان . ثم احتل الاسرائيليون ــ خلال المراحل الاخيرة من الحرب العربية ــ الاسرائيلية الاولى ــ المثلث الذي تقوم عليه الحدود المصرية ــ الاردنية ، ووصلوا الى موقع

---

* قدم هذا البحث الى الندوة التي عقدتها جامعة عين شمس بالاشتراك مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : من ١٠ الى ١٥ مارس ١٩٧٩ عن : « البحر الاحمر في التاريخ » .

★★أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الكويت .

- حصل على الدكتوراة من جامعة لندن ١٩٥٥ .

له عدة مؤلفات وترجمات وابحاث منها ما يلى :

- مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ الى ١٨٨٢ . القاهرة ، ١٩٦٦ .
- مشكلة قناة السويس ١٨٥٤-١٩٥٦ . القاهرة ، ١٩٦٦ .
- تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة . القاهرة ١٩٧٣ .
- حركة التجديد الاسلامي في العالم العربي الحديث . القاهرة ، ١٩٧١ .

قرية أم الرشراش الذي قام عليه ميناء ايـلات في عام ١٩٥٠ . ورغـم أن اتفاقيات الهدنة ـ التي جرى التوقيع عليها في رودس عام ١٩٤٩ تحت اشراف الوسيط الدولي رالف بنش ـ بين اسرائيل وكل من مصر والاردن وسوريا ولبنان، قد أنهت الحرب العربية ـ الاسرائيلية من الناحية الواقعية ، فان مصر ، وقد أزعجها قيام ميناء اسرائيلي على خليج العقبة ، أعلنت في عـام ١٩٥٠ قيام حالة الحرب بينها وبين اسرائيل . كما استأجرت من المملكة العربية السعودية جزيرتي تيران وصنافير الواقعتين على مدخل خليج العقبة ثم احتلتهما . وفي ديسـمبر ١٩٥٠ نصبت بطاريات سواحل عند شرم الشيخ وراس النصراني على الطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء ، وذلك بقصد اغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية والحيلولة دون تحول ايلات الى حيفا أخرى ، كما أعلنت أن خليج العقبة يشكل مياها عربية . وتكملة لكل ذلك حرمت مصر على اسرائيل استعمال قناة السويس بصورة مباشرة أو غير مباشرة مستندة الى الحق الشرعي في الدفاع عن النفس ومطبقة اجراءات الحظر والغنائم المرتبطة بقيام حالة الحرب .

الا أن اسرائيل من ناحيتها ذهبت الى ان اتفاقية الهدنة لا تمنح مصر أية حقوق في اعلان حالة الحرب في خليج العقبة ، ومن ثم تنديدها بالاجراءات المصرية ، وهو التنديد الذي لقي استجابة من جانب الدول البحرية الغربية حين تقدمت اسرائيل بشكواها ضد مصر في مجلس الامن في عام ١٩٥١ فيما يتعلق بحظر الملاحة في قناة السويس ، فعرض ممر تيران ، وهو أضيق نقطة عنـد مدخل خليج العقبة في المياه الفاصلة بين المملكة العربية السعودية ومصر لا يزيد على ستة أميال ، وبالتالي فانه لا يتعدى المدى المسموح به وقدره ثلاثة أميال ـ أي لا يشكل مياها دولية . ولكن لما كان اتساع الخليج في المناطق الشمالية يتراوح بين ١٢ و ١٩ ميل ، فقد كان من الممكن اعتبارها مياها دولية (مـن وجهة النظر الغربية) . وفي هذه الحالة كان القانون الدولي لا يمنع السفن الاجنبية من المرور عبر المياه الاقليمية لدولة ما اذا كانت تتجه الى المياه الدولية طالما أن حالة الحرب غير قائمة . ويطلق على المرور في هذه الحالة اسم **المرور البريء** الذي لا يقتضي تفتيش السفن المارة بالمياه الاقليمية . وكانت اسرائيل والدول البحرية الغربية في تفسيرها هذا تستند الى ان اتفاقيات رودس لا تعني قيام حالة الحرب، بل تمهد لقيام سلام دائم في فلسطين وتصفية النزاع الحربي .

وبعد أن قامت الثورة في مصر في يوليه ١٩٥٢ حاولت اسرائيل أن تعمل على التوصل الى سلام مع النظام الجديد الذي واصل نفس السياسة التي اتبعها العهد الملكي فيما يتعلق بموقف مصر من الدولة الصهيونية بوجه عام ومن خليج العقبة وقناة السويس بوجه خاص ، ومن ثم تواطؤ اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا في العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦، ومهاجمتها للقوات المصرية

في سيناء ، وانتهازها انسحاب القوات المصرية من شبه الجزيرة لاحتلالها . الا ان الولايات المتحدة تصدت للعمل الذي قامت به الدول الثلاث خشية استغلال الاتحاد السوفياتي للازمة في مد نفوذه الى الشرق الاوسط — ومن ثم تصديها لوقف العدوان تمهيدا لمواجهة الاتحاد السوفيتي فيما عرف باسم « **مبدأ أيزنهاور** » . وازاء الضغط الامريكي جلت القوات البريطانية والفرنسية عن مصر في أواخر ديسمبر ١٩٥٦ ، ثم ما لبثت القوات الاسرائيلية أن جلت عن سيناء مفسحة الطريق أمام قوات الطوارىء الدولية التابعة للامم المتحدة . الا ان بن جوريون ظل يتحدى ضغط الرئيس الامريكي دوايت أيزنهاور في سبيل الجلاء عن قطاع غزة وموقع شرم الشيخ . وفي أواسط فبراير ١٩٥٧ ذهب وزير الخارجية الامريكي جون فوستر دالاس الى أن الولايات المتحدة بذلت أقصى ما في وسعها لتسهيل مهمة انسحاب اسرائيل ، وأن بذل جهد آخر من شأنه أن يهدد النفوذ الغربي حين يقتنع العرب بأن أمريكا تطوع سياستها لرغبات الصهيونيين الامريكان وان أمل العرب الوحيد كامن في الارتباط الوثيق بالاتحاد السوفيتي . لهذا اصطنعت واشنطن كلا من الضغط واللين مع اسرائيل — وفي برقية بعث بها ايزنهاور الى بن جوريون حذره من أن تصلب اسرائيل « سيعكر العلاقات (بينها) وبين دول أخرى أعضاء في الامم المتحدة » . وكان رد الاسرائيليين هو أنهم على استعداد للاستغناء عن مساعدة الولايات المتحدة والتحريض على شن حملة كبرى من جانب « اللوبي » الصهيوني في الولايات المتحدة . وحينئذ تضامن دالاس مع كل من وزير الخزانة جورج همفري وممثل الولايات المتحدة في الامم المتحدة هنري كابرت لودج في الاعتقاد بأن « على البيت الابيض أن يتصدى لكل من الكونجرس واسرائيل » .

وقد تكونت في تلك الاثناء أغلبية كبيرة في الامم المتحدة تطالب بتطبيق العقوبات على اسرائيل وتقدمت الكتلة العربية — الاسيوية بمشروع قرار يطالب بقطع كل معونة عن اسرائيل اذا لم يكتمل انسحابها . وكان دالاس قد سلم السفير الاسرائيلي في واشنطن — أبا ايبان — في ١١ فبراير ١٩٥٧ مذكرة تضمنت ما أزمعت أمريكا تقديمه لاسرائيل في مقابل انسحابها غير المشروط : فقد تعهدت — في هذه الحالة أن تعلن أنها تعتبر خليج العقبة « **مياها دولية لا يحق لاية دولة أن تعرقل المرور الحر فيها** .. وانها على استعداد لممارسة حق المرور الحر والبريء ، والانضمام الى الاخرين لضمان الاعتراف العام بهذا الحق » . كما أعلن أيزنهاور في مؤتمر صحفي عقده في ٧ مارس أنه — بالاشتراك مع الدول البحرية الاخرى — على استعداد لاعلان خليج العقبة ممرا دوليا مفتوحا وأن يجري استخدامه طبقا لهذا المفهوم . وبالفعل غامرت الولايات المتحدة بسمعتها في سبيل المحافظة على حرية المرور . فلكي تبدي مساندتها لحق المرور البريء وجهت شاحنة أمريكية مؤجرة لاسرائيل للمرور في خليج

العقبة في أوائل ابريل قاصدة رأس الخليج قرب ميناء ايلات . وعلى اي حال فلم يرضخ الاسرائيليون في نهاية الضغط الا أمام الضغط الشديد من جانب حكومة ايزنهاور التي كادت تستصدر قرارا من الامم المتحدة بقطع كل أشكال المساعدة ــ العامة والخاصة ــ عن اسرائيل . وسلم بن جوريون بالمطالب الامريكية في الوقت المناسب بهدف الحيلولة دون التصويت على مشروع القرار . وجلا الاسرائيليون عن غزة في ٧ مارس ، وفي ١٦ مارس جلوا عن شرم الشيخ حيث تقرر ارسال قوات الطوارىء الدولية حتى يحين الوقت الذي يمكن فيه التوصل الى اجراءات دائمة تضمن حرية الملاحة .

وقد وافق عبدالناصر على حلول قوات الطوارىء الدولية محل القوات الاسرائيلية في شرم الشيخ ، ولم يصر على تواجد القوات المصرية ، مدركا أن معنى ذلك انتهاء حصار ايلات . ولكي يحول دون توجيه النقد الداخلي اليه لهذا السبب في حالة انكشاف الامر ، كلف وزير خارجيته محمود فوزي بأن يبلغ هنري كابوت لودج ــ قبل التصويت الاخير في الامم المتحدة على الانسحاب الاسرائيلي ــ بأن على الولايات المتحدة أن تدرك أن مصر لا تتنازل عن اي حق من حقوقها في خليج العقبة في مقابل مساعدة أمريكا لها في اخراج الاسرائيليين من شرم الشيخ ، وبالتالي فان القاهرة لا يمكنها أن تلتزم بالسماح للسفن الاسرائيلية بالمرور الى أجل غير مسمى في نظير انسحاب اسرائيل من سيناء.ورغم هذه التحفظات فان عبدالناصر كان يعلم ان دالاس قد التزم بحلول قوات الطوارىء الدولية محل القوات الاسرائيلية وبالتالي برفع الحصار . لذا أخبر عبدالناصر زملاءه الوزراء بأن من مجافاة دواعي السياسة معارضة هذا القرار الامريكي خشية اغضاب دالاس وتخليه عن الضغط على اسرائيل وبقاء القوات الاسرائيلية .

والحق أن دالاس كان قد أخبر الاسرائيليين في مذكرة سرية بأن الولايات المتحدة لا ترى أن من حق اي دولة ان تغلق خليج العقبة وانها «على استعداد لممارسة حق المرور البريء (عبر الخليج) والانضمام الى الاخرين لضمان الاعتراف العام بهذا الحق » . وكان رد الاسرائيليين على ذلك أنهم لا يوافقون على الجلاء عن شرم الشيخ الا اذا حلت قوات الطوارىء الدولية محل قواتهم ، وذلك الى أن يتم توقيع الصلح مع مصر أو التوصل الى اتفاقية دائمة أخرى تضمن حرية الملاحة في خليج العقبة . ورغم ان عبدالناصر لم يحط علما بشروط تل أبيب ، فانه كان يعلم أن الاصرار على استعادة مصر للسيطرة على شرم الشيخ من شأنه أن يؤدي الى استمرار الاحتلال الاسرائيلي . وهكذا أصبحت الملاحة حرة في مضايق تيران وتدفق على ايلات النفط وغيره من المواد اللازمة لاقتصاد اسرائيل والمستوردة من آسيا وافريقيا وذلك لمدة عشر

سنوات . الا أن الملك سعود ـ عاهل المملكة العربية السعودية ـ احتج احتجاجا شديدا على موقف الولايات المتحدة ، فكتب الى أيزنهاور يبلغه بأن اسرائيل قد اتبعت سياسة استفزازية ضد المسلمين في شتى انحاء العالم ، وذكر ـ على سبيل المثال ـ أن مدمرة اسرائيلية قد أقلعت من ايلات بقصد تهديد المدينة العربية « الشيخ أحمد » ولم تبتعد الا بعد أن وصلت الى نقطة لا تبعد الا كيلومترات عن المدينة ، أي أنها عبرت مياهه الاقليمية . وساق سعود أمثلة أخرى للتدليل على نوايا اسرائيل العدوانية ، ومنها المناورات الجوية التي كانت تقوم بها فوق خليج العقبة ، مما أثار توترا شديدا لدى شعبه على طول الساحل . كما أبدى انزعاجا شديدا على مصير الاماكن الاسلامية المقدسة في الحجاز مشيرا الى ان السماح لاسرائيل باستخدام الخليج من شأنه أن يسد الطريق أمام الحجاج العرب ، الا أن ايزنهاور أكد له ان الولايات المتحدة ستساند الوضع الدولي للخليج ومبدأ « المرور البريء » عبره أمام المسلمين والعرب . وقد أرضى هذا التطمين العاهل السعودي برغم تفضيله الاعتراف بالخليج مياها عربية .

وهكذا كانت اسرائيل هي المستفيد الوحيد من العدوان الثلاثي : فقد ضمنت حرية الملاحة في مضائق تيران وامكنها تفادي هجمات الفدائين من قطاع غزة ، وذلك نتيجة لوجود قوات الطوارىء الدولية على الجانب المصري من خطوط الهدنة . ورغم أن هيبة أمريكا في العالم العربي قد ازدادت نتيجة لموقف واشنطن الصلب دفاعا عن حقوق مصر ، الا أنها ما لبثت أن ضعفت نتيجة لدفاع دالاس في عام ١٩٥٧ عن مبدأ حرية الملاحة في خليج العقبة . وما لبثت دعاية عبدالناصر أن ذهبت الى انه برغم اصرار واشنطن على انسحاب اسرائيل من الاراضي المصرية ، فانها تعهدت في الواقع بضمان اهداف اسرائيل من الحرب ، بما في ذلك فتح خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية ، هذا برغم ان الاجراءات الخاصة بضمان حرية الملاحة ـ وهو ما وعدت به أمريكا اسرائيل ـ لم تتحقق . ففي العقد التالي لحرب السويس تدهورت علاقات عبدالناصر بالغرب بوجه عام ، على حين توثقت علاقاته بالاتحاد السوفيتي ، مما عرض الشرق العربي لضغوط الحرب الباردة والاستقطاب الدولي . فقد اعتقد الرئيس الامريكي لندون جونسون ـ الذي تولى الحكم في عام ١٩٦٣ ـ ان عبدالناصر يتحدى النفوذ الامريكي في الشرق الاوسط ويعبىء الجماهير ضد السياسة الامريكية . والحق ان ماضي جونسون الذي عرف عنه الميل الى اسرائيل قد اقنع عبد الناصر وغيره من الراديكاليين العرب بأن ثمة تواطؤ بين اسرائيل والولايات المتحدة لاخماد جذوة الثورة العربية . وفي عهده ضعف الامل في امكان اتباع الولايات المتحدة لسياسة متوازنة في الشرق الاوسط ، بحيث نما لدى عبدالناصر شعور بأن الولايات المتحدة تقوم هي وحلفاؤها بهجوم كبير في

العالم الثالث يستهدفه هو وغيره من زعماء التحرر الوطني ، وان اسرائيل هي وما أطلق عليه اسم « الرجعية العربية » هم اداة الامبريالية في تنفيذ مخططاتها في العالم العربي .

ولكي يحصن نفسه ضد هذا الاحتمال وقع في ٤ نوفمبر ١٩٦٦ معاهدة دفاع مشترك مع حكام سوريا المتطرفين بهدف كبح جماحهم ومنعهم من اعطاء اسرائيل وحلفائها فرصة لاشعال الحرب في الشرق الاوسط . الا ان العكس هو الذي حدث — فما أن تم توقيع اتفاقية الدفاع المشترك حتى بدأت اسرائيل في تعقيد الموقف : ففي ١٣نوفمبر قامت بغارة كبيرة على بلد « السموع » الاردنية مما أدى الى قيام مظاهرات في القدس وغيرها من مدن الضفة الغربية ضد الملك حسين الذي وجه اليه الاتهام بعدم السماح لمنظمة التحرير الفلسطينية بالدفاع عما تبقى من فلسطين . وفي الوقت الذي تحركت فيه القوات الاردنية لقمع المظاهرات وجه رئيس الوزراء الاردني وصفي التل لوما شديدا الى القيادة العربية المشتركة وسلاح الجو المصري لعدم مساعدتهما الاردن على صد الهجوم الاسرائيلي . ومنذ ذلك الوقت اخذت الصحافة والاذاعة الاردنيتان تذيعان أن عبدالناصر يختبىء وراء قوات الطوارىء الدولية ويتجنب قتال العدو ، وفي الوقت الذي يظهر فيه بمظهر أعدى أعداء اسرائيل وأقوى حلفاء سوريا ، وان اسرائيل تتلقى مؤنا حربية عبر خليج العقبة دون أن يقوم عبدالناصر بعمل شيء لعرقلة هذه المؤن من قتل نفس العرب الذين تعهد بالدفاع عنهم . وكان رد مصر على ذلك ان قوات الطوارىء الدولية سيجري سحبها في الوقت المناسب .

ومضى الاسرائيليون في تصعيد الموقف على الجبهتين السورية والاردنية . وفي ابريل ١٩٦٧ اسقطت القوات الاسرائيلية ما لا يقل عن ست طائرات سورية بعد قتال جوي امتد الى مشارف دمشق ، كما أدلى المسؤولون الاسرائيليون بتصريحات تهديدية ضد سوريا بما في ذلك احتلال دمشق . ويبدو أن الاسرائيليين كانوا يهدفون الى استدراج عبدالناصر الى القيام بعمل يبرر توجيه الضربة القاضية اليه والى زعامته للعالم العربي : وبالتالي كان عليه أن يقوم باجراء يؤكد هذه الزعامة ويستعرض فعالية معاهدة الدفاع المشترك ، خاصة وان اصدقاءه الروس ابلغوه بأن سوريا على وشك التعرض لهجوم اسرائيلي . وفي ١٥ مايو اعلنت مصر حالة الطوارىء وأرسل عبدالناصر قواته الى سيناء ولم تكن هذه هي المرة الاولى — منذ عام ١٩٥٦ — والتي ترسل فيها مصر قواتها الى سيناء : فقد سبق لها ان حشدتها في فبراير ١٩٦٠ حين نشب الخلاف حول المنطقة المنزوعة السلاح بالقرب من بحيرة طبرية ، وان تكن القوات المصرية قد انسحبت في الشهر التالي . وهكذا فما أن قرر عبدالناصر التقدم صوب الحدود الاسرائيلية حتى كان قد اعتقد ان المسألة

ستنتهي عند هذا الحد . ولكي يؤكد زعامته على العالم العربي التي خفضتها حملة اليمن وخلافاته مع كثير من الانظمة العربية، وبخاصة السعودية والاردن، فانه طلب من السكرتير العام للامم المتحدة ـ يوثانت ـ سحب قوة الطوارىء الدولية المتمركزة على الحدود الدولية لسيناء . وكان قد سبق له في عام ١٩٦٠ أن تقدم بنفس الطلب لداج همرشولد الذي استجاب للطلب واصدر امرا الى ٧٠٠ من اليوغوسلافيين الذين كانوا متمركزين على هذه الجبهة بالانسحاب الى مراكزهم المنعزلة في الصحراء ومن أن تحاط الامم المتحدة الا بالنزر اليسير عما حدث . ولكي يتأكد عبدالناصر في المرة الاخيرة من عدم وجود مزيد من التهديد أو الاستفزاز للاسرائيليين ، حرص على أن تضمن رسالة الفريق محمد فوزي الى الجنرال ريكي ـ قائد قوات الطوارىء ـ طلب سحب هذه القوات من نقطة مراقبة الحدود لا من مناطق شديدة الحساسية مثل قطاع غزة أو شرم الشيخ . فلقد كان على يقين من أن اي تحرك مصري لسحب قوات الامم المتحدة من شرم الشيخ واعادة حصار خليج العقبة من شأنه أن يمعن في تصعيد الموقف وكان نص المذكورة التي بعث بها الفريق محمد فوزي الى الجنرال ريكي كالآتي :

« أعطيت تعليماتي لكل القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة بأن تكون على استعداد للعمل ضد اسرائيل في اللحظة التي تقوم فيها بالعدوان على اي بلد عربي . وبناء على هذه التعليمات فان قواتنا قد تمركزت في سيناء على حدودنا الشرقية . وتحقيقا لسلامة جميع قوات الامم المتحدة المتمركزة على حدودنا ، أطلب منكم سحب هذه القوات فورا » .

وقد أخبر ريكي حامل رسالة فوزي انه لا يستطيع سحب اي جزء من قوات الامم المتحدة بدون تعليمات من السكرتير العام الذي سيبرق له في الحال بطلب الحكومة المصرية ورغم ان الرسالة لم تكن محددة ولم تشر الى شرم الشيخ فان الدكتور رالف بنش عندما حاول شرح مضمون الرسالة ليوثانت ناقش عبارة «قوات الامم المتحدة المتمركزة على حدودنا» وقال بوضوح انها تتضمن شرم الشيخ التي لم تكن بها قوات دولية ، بل ولم تكن هناك قوات على الحدود ، بل على الشاطىء ، على بعد ١٠٠ ميل من أي خط « حدود » . ولكي يفسر المشير عبدالحكيم عامر المذكرة المصرية نشر في صحيفة الاهرام في ١٧ مايو تفسيرا جاء فيه أن مصر دعت الى « انسحاب قوات الامم المتحدة من الحدود الدولية بين مصر واسرائيل » ، وهو نفس ما طلبته مصر في عام ١٩٦٠ ، الا ان التغيرات المختلفة في دوائر الامم المتحدة وتفسيرات بنش اصرت على أن المصريين طلبوا الانسحاب الكلي الكامل لقوات الطوارىء الدولية . وتتفق الدوائر المصرية

والاسرائيلية على أن بنش هو الذي أشار على يوثانت بالانسحاب الكلي أو اللا انسحاب . فهو كان على استعداد للشك في حقيقة الحشود العسكرية الاسرائيلية ضد سوريا ، كما لم يكن على استعداد لاعطاء عبدالناصر أية مهلة لاعادة ترتيب مواقع قوات الطوارىء الدولية ، وكان من المعروف أنه لم يتخذ موقفا حياديا من النزاع العربي ــ الاسرائيلي .

وفي الحق أن السكرتير العام للامم المتحدة كان قد سأل مندوب مصر في الامم المتحدة محمد عوض القوني ــ عما اذا كان باستطاعته أن يلقي ضوءا على طلب الفريق فوزي المفاجيء . وحين أجاب السفير بأنه لم يتلق أية تعليمات طلب منه الحصول على ايضاح من حكومته وعلى حين أن عبدالناصر كان بامكانه أن يخبر يوثانت شفاها بحقيقة أهدافه ، فانه لم يكن على استعداد للابراق بها عبر الاثير خشية أن يقع فحوى البرقية في أيدي أعدائه الذين لن يترددوا في اعلان أن تحركه في سيناء لا يعدو أن يكون ضجة فارغة . ولما كان يوثانت قد بلغ القوني برفضه البات لاجراء اي انسحاب جزئي ، كان على عبدالناصر أن يختار ما بين التراجع المخزي وبين المخاطرة بطلب السحب الكلي لقوات الطوارىء الدولية من شرم الشيخ وغزة . وكان على علم بأن اختياره للبديل الثاني يحتم عليه ارسال قوات مصرية الى قطاع غزة وشرم الشيخ ــ وأخطر من هذا أنه سيواجه في هذه الحالة ضغوطا شديدة من جانب جيران اسرائيل الآخرين لاعاقة فرض حصار خليج العقبة . وفضل عبدالناصر مواجهة أخطار الانسحاب الكلي ، فطالب وزير خارجيته محمود رياض في ١٨ مايو بسحب قوات الطوارىء الدولية من غزة وشبه جزيرة سيناء . وعندئذ تردد عبدالناصر في اتخاذ الخطوة الاخيرة الخاصة بقفل مضايق تيران أمام الملاحة الاسرائيلية . فرغم تقدم القوات المصرية لاحتلال المواقع التي احتلتها قوات الطوارىء الدولية على حدود سيناء ، فان التعليمات لم تصدر لها باحتلال شرم الشيخ . الا أن راديو عمان سخر من تردد القاهرة الواضح في مواجهة الخطوة التالية ، في الوقت الذي كان فيه بعض الضباط المصريين متحرقين للانتقام لهزيمة ١٩٥٦ . لهذا تحركت القوات المصرية الى شرم الشيخ في ٢١ مايو ، وفي اليوم التالي أعلنت القاهرة قفل خليج العقبة في وجه السفن الاسرائيلية والسفن الاخرى التي تحمل شحنات استراتيجية الى ايلات . وهكذا استطاع عبدالناصر أن يسترد زعامته للعالم العربي ويخرس نقاده ، وان يكن من ناحية أخرى قد اتاح الفرصة لصقور اسرائيل لاستدراجه الى الحرب التي أعدوا لها منذ حرب السويس ، خاصة وان المسؤولين الاسرائيليين قد سبق لهم أن أعلنوا مرارا وتكرارا أن اغلاق مضايق تيران يعد بمثابة اعلان للحرب على اسرائيل ، وبذلك حملوا عبدالناصر أمام الرأي العام العالمي مسؤولية تفجير الازمة واعلان الحرب .

وقد وجه اللوم الى يوثانت لانه لم يبادر بحصر الازمة ولانه أصر على سحب قوات الطوارىء الدولية ولم يقابل عبدالناصر فور نشوب الازمة . الا أن الهند ويوغوسلافيا ـــ اللتين كانت قواتهما تشكل أكبر من نصف قوات الطوارىء الدولية ـــ كانتا تريان أن مصر تتصرف في نطاق حقوقها حين طلبت سحب هذه القوات . اضافة الى ذلك فان موقف الولايات المتحدة وبريطانيا لم يكن ليساعد على ايجاد المناخ اللازم للتفاوض مـــع القاهرة ، اذ انهما تصرفتا كما لو كانت قوات الطوارىء الدولية نوعا من جيش الاحتلال القائم في الشرق الاوسط لتنفيذ ارادتهما . وحين توجه يوثانت الى القاهرة في ٢٢ مايو القى الامريكان بالعقبات في وجه نجاح رحلته حين بلغوا عبدالناصر بلهجة صارمة بأن عليه قبول كل ما يقترحه السكرتير العام . ورغم تقدمه ببعض المقترحات الهادفة الى تهدئـــة الموقف ، فان اسرائيل رفضتها دون نقاش . وقد اقترح بدأ المفاوضات لتسوية الازمة وطلب من اسرائيل الا تختبر الحصار بارسال سفن الى خليج العقبة ، كما طلب من الدول الاخرى الا ترسل مواد استراتيجية عبر مضايق تيران ، ومن مصر الا تباشر حقها في اعتراض السفن المتجهة الى ايلات وعلى حين قبل عبدالناصر كل هذه المقترحات ، فقد رفضتها اسرائيل التي قرر فادتها غلق كل ابواب التراجع أمامه .

ولكي لا تفصح اسرائيل عن نواياها العدوانية تقرر ايفاد أبا ايبان الى العواصم الغربية الكبرى الثلاث طلبا للمساعدة . وفي باريس ولندن وواشنطن أكد ايبان أن شعبه يواجه الابادة على أيدي ملايين العرب الذين ابدوا لدى اغلاق خليج العقبة أنهم لا يطالبون بما هو أقل من تدمير اسرائيل . وتتفق معظم المصادر على أن لقاء ايبان ـــ ديجول قد تميز بالبرود ، واشبـــار المسؤولون الاسرائيليون الى تحذير ديجول الشديد لاسرائيل حتى لا تكون بادئة بالعدوان، كما أشاروا الى أنه يقف من اسرائيل موقف المعارضة منذ البداية خاصة وانه صرح بأن فرنسا لن تساعد اسرائيل على اقتحام خليج العقبة بالقوة برغـــم تذكير ايبان له بتعهد فرنسا في عام ١٩٥٧ من حيث اعتبار أي محاولة لاغلاق مضائق تيران بمثابة اعلان للحرب . فلما كان ديجول يخشى أن يؤدي صراع الشرق الاوسط الى حرب عالمية ، فانه أشار الى أن فرنسا لا تحبذ القيام بعمل غربي صرف ، بل ستعمل على التوصل الى حل تسانده الدول الاربع الكبرى. وحين حذر ديجول ايبان من بدء اسرائيل للعدوان كان رد وزير الخارجيـــة الاسرائيلي هو ان الحرب قد بدأت بالفعل وأن مصر قد صوبت الطلقة الاولى حين أغلقت مضائق تيران . ومن الممكن تفسير موقف ديجول على ضـــوء رغبته في عدم ربط فرنسا بالسياسة الامريكية . فمن رأيه أن السوفيت كانوا يهددون الشرق الاوسط بتوثيق علاقاتهم بالعرب ، ردا على التدخل الامريكي في فيتنام . اضافة الى هذا فان الزعيم الفرنسي كان يرغب في تقوية نفوذ بلاده في

الشرق الاوسط وتوسيع مجال بيع الاسلحة الفرنسية في المنطقة ، كما كان يود ضمان تدفق النفط على فرنسا دون أن يترتب على ذلك التزامها بالارتباط بالدول الغربية الاخرى ، واشتراك فرنسا في أي تسوية تتوصل اليها الدول العظمى بصدد الشرق الاوسط وكبح جماح تطرف الدول العربية الراديكالية بتأكيد الوجود الغربي في المنطقة ــ هذا الى جانب ايجاد معادل لازدياد الوجود الامريكي . وعلى حين أن رئيس الوزراء البريطاني هارولد ولسون صرح بأنه على استعداد للاشتراك في أي اجراءات تقوم بها الولايات المتحدة أو الامم المتحدة للحيلولة دون اغلاق مصر للممر العالمي ، فان الرئيس جونسون وعد ايبان باتخاذ الاجراءات اللازمة لاعادة فتح الخليج سواء بمساعدة بريطانيا أو بدون مساعدتها ، وان يكن قد حث ايبان على العمل على أن تبذل اسرائيل جهدا لضبط النفس .

أما جونسون فقد سعى الى التوصل الى تفاهم مع الاتحاد السوفياتي حول عدم تدخل الدولتين العظميين في الشرق الاوسط وذلك تجنبا لحدوث مواجهة بينهما ــ ومن ذلك ما اقترحه على رئيس الوزراء السوفيتي الكسي كوسيجين من حيث القيام بجهد مشترك لتهدئة الموقف . ولكنه مع ذلك كان منحازا لاسرائيل ومن ثم توجيهه للسياسة الامريكية لصالحها خلال أزمة ١٩٦٧ . فقد أرسل التحذير تلو التحذير لعبدالناصر مما جعل هذا الاخير يركب رأسه ولا يجد مجالا للتراجع . ففي ٢٢ مايو كتب الى عبدالناصر يحثه على تجنب الحرب . وفي ٢٣ مايو صرح بأن اغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية قد أضاف بعدا جديدا وخطيرا الى الازمة وان الولايات المتحدة تعتبره مياها دولية ، كما تعد اغلاقه في وجه الملاحة الاسرائيلية عملا غير مشروع يحتمل أن يلحق بالسلام العالمي أفدح الاضرار . وأضاف جونسون أن حق المرور البريء أمر بالغ الاهمية بالنسبة الى المجتمع الدولي خاصة وأن حق اسرائيل في المرور يشكل جزءا من الالتزام الامريكي في مقابل انسحابها من سيناء وقطاع غزة . كما نادى بتخفيض القوات المحتشدة على طول الحدود وأعلن ان الولايات المتحدة « شديدة الالتزام بمساندة الاستقلال السياسي لكل دول المنطقة وسلامة أراضيها » . ثم ما لبثت الولايات المتحدة أن حاولت الضغط على مصر باستعراض القوة : فحركت بعض قطع الاسطول السادس جنوب مكان مجهول في شرق البحر المتوسط . وقبل نشوب الحرب كانت هذه السفن قد وصلت الى مسافة قريبة من المياه المصرية .

ومن الواضح أن واشنطن كانت تود العمل عن طريق الامم المتحدة أو الاتفاق مع الدول البحرية اذا ما ثبت أن مساعي الامم المتحدة غير عملية . كما لم يستبعد جونسون كلية احتمال القيام بعمل عسكري مشترك في نهاية المطاف :

وان كان من المستبعد قيام الولايات المتحدة بالتدخل المنفرد . فلقد عرضت واشنطن على مجلس الامن مشروع قرار اكدت فيه الحاجة الى « التقاط الانفاس» وطالبت في نفس الوقت ببقاء خليج العقبة مفتوحا الى ان يتسنى التوصل الى حل عن طريق المفاوضات ، وقامت بجهد مكثف لتكوين جبهة متحدة من الدول البحرية لاختراق مضائق تيران . الا ان الدول البحرية لم تتحمس للالتزام بخطة قد يترتب عليها اللجوء الى القوة ، ولم يناد احد بالقيام بالعمل المنفرد الذي حذر ايزنهاور من مغبة التورط فيه . وهكذا تضمنت ازمة ١٩٦٧ صدى عجيبا لما حدث في عام ١٩٥٦ حين سعت الولايات المتحدة الى تشكيل جمعية للمنتفعين بقناة السويس — وفي هذه المرة الاخيرة نجدها تسعى الى تشكيل جمعية للمنتفعين بخليج العقبة في سبيل تأكيد حق المرور البريء في مضائق تيران . وكانت المحاولة الاخيرة اقل نجاحا — اذ في عام ١٩٦٧ كانت الولايات المتحدة هي التي ابدت استعدادها لاقتحام خليج العقبة ، وان تكن فرنسا وبريطانيا واثنتا عشرة دولة بحرية اخرى على الاقل من بين الدول التي دعيت للاشتراك قد اعتذرت عن ذلك بلباقة .

ورغم كل ذلك فقد بدأت الحكومة الامريكية في جس نبض عبدالناصر حول احتمال التوصل الى تسوية عن طريق المفاوضات . وقد ذهب عبدالناصر الى انه لم يفكر على الاطلاق في شن حرب هجومية بسبب يقينه من تدخل الولايات المتحدة لضمان حدود اسرائيل ، ولكنه في نفس الوقت رفض طلب جونسون الخاص باعادة فتح خليج العقبة ، وذلك برغم تأكيد جونسون ان الولايات المتحدة لا تميل الى اتخاذ اي اجراء عسكري . وقد خشى الاسرائيليون ان يسلبهم الامريكان المبادرة ، وذلك بارسال شاحنات الى خليج العقبة تحت حراسة بحرية ، ومن ثم تصريحهم بأن باستطاعتهم الاعتماد على النفس . وارغام عبدالناصر على اعادة فتح خليج العقبة دون مساندة من جانب الغرب . ورغم رفض عبدالناصر لاقتراح جونسون الخاص بالغاء الحصار وعودة قوات الطوارىء الدولية الى مراكزها السابقة ، فانه ابدى لواشنطن وعواصم غربية اخرى انه على اتم استعداد لعرض المسألة على محكمة العدل الدولية لبحث ما اذا كانت مصر تتصرف في نطاق حقها حين اغلقت مضائق تيران . كما لمح الى أن مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس قابل للتفاوض في مقابل تنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة باعادة توطين اللاجئين وتنفيذ قرار تقسيم ١٩٤٧ .

ويبدو ان اسرائيل قد اطمأنت الى موقف واشنطن،ولما كانت واثقةمن النصر فانها لم تفسح المجال لاى حل سلمي من شأنه أن يعرضها لهزيمة دبلوماسية حين يبدو عبدالناصر وقد حقق اهدافه من استعراض القوة . وفي صبيحة يوم ٥ يونية أقدمت اسرائيل على تدمير سلاح الطيران المصري وغيره من القوات

الجوية العربية في دول المواجهة وبذلك حسمت الحرب خلال الساعات الاولى . وساندت الولايات المتحدة اسرائيل خلال نشوب القتال ـ فقد وضع الخط الساخن على اهبة الاستعداد تجنبا لحدوث مواجهة مع السوفيت ، وان يكن جونسون قد عمد الى تأخير مباشرة الضغط الامريكي من أجل التوصل الى وقف اطلاق النار حتى انتصرت اسرائيل عسكريا . فلقد ذهب آرثر جولدبرج ـ ممثل أمريكا في الامم المتحدة ـ الى أن انسحاب اسرائيل الى حدود ٤ يونيه لن يؤدي الى تأكيد اغلاق مصر لخليج العقبة . وفي أواسط يونيه صرح جونسون بأن بلاده تسعى الى تحقيق السلام في الشرق الاوسط ، مع الاعتراف بحق الحياة القومية وتوفير حل لمشكلة اللاجئين وصيانة حرية الملاحة البحرية البرئية وتحديد سباق التسلح واحترام الاستقلال السياسي وسلامة الاراضي .

ومنذ أن انتهت حرب ١٩٦٧ سعت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرنسا وبريطانيا الى التوصل الى تسوية تشمل ـ اضافة الى انسحاب القوات الاسرائيلية : الحدود ، حرية الملاحة ، انهاء حالة الحرب ، الاعتراف بحق كل دولة في الحياة ، تحديد تصدير الاسلحة ـ الى غير ذلك . وكانت المحاولة الاساسية للتوصل الى التسوية المرجوة ترتكز على القرار رقم ٢٤٢ الذي اصدره مجلس الامن في ١٢ نوفمبر ١٩٦٧ والذي اكد ـ بالاضافة الى بنوده الاساسية الاخرى ـ ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية . وقد تضمنت المقترحات التي تقدم بها وزير الخارجية الامريكن دين رسك لتسوية النزاع في الشرق الاوسط وضع قوات دولية في شرم الشيخ على الا يجوز سحبها الا بقرار من مجلس الامن او الجمعية العمومية . ولقد اتضح الموقف الامريكي تماما في الرد على المقترحات السوفياتية التي قدمت للولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا في أواخر عام ١٩٦٨ والتي نصت على موافقة الدول الاربع على تحديد جدول زمني لانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلت في عام ١٩٦٧ ـ فقد تضمن الرد الامريكي (١٥ يناير ١٩٦٩) أن اسرائيل قد أثارت مسألة ضرورة تواجد قواتها في شرم الشيخ ، وان الولايات المتحدة ترى انه يتعين ان تتم عملية التوصل الى اتفاق وتحقيق تسوية سلمية مقبولة ـ كما جاء في القرار ٢٤٢ ـ عن طريق التفاوض حول وسائل تنفيذ كافة عناصر التسوية بما في ذلك ضمان حقوق الملاحة .

« وينبغي ان يوضع في عين الاعتبار ان نزاع يونيه ١٩٦٧ قد ترتب على مسالة حقوق المرور عبر مضائق تيران . ولا يمكن تحقيق امالنا في السلام الا باقصى قدر من الترتيبات الآمنة لضمان هذه الحقوق » . وفي ٩ نوفمبر ١٩٦٩ قدمت الولايات المتحدة مشروعا لتسوية الازمة كان كسابقه يطالب بنزع سلاح سيناء وترك مصير غزة وشرم الشيخ لمفاوضات تجريها مصر مع اسرائيل . وقد

رفض عبدالناصر مقترحات روجرز لاسباب منها أنها لم تطالب اسرائيل بالانسحاب من شرم الشيخ أو من قطاع غزة .

وفي يونيه ١٩٧٠ تقدم روجرز بمبادرته المشهـــورة الخاصة بوقف حرب الاستنزاف والتوصل الى تسوية بين مصر واسرائيل . وقد تضمنت هذه المبادرة بنودا منها أن تشتمل الاتفاقية النهائية على مناطق منزوعة السلاح واجراءات خاصة في منطقة شرم الشيخ لضمان حرية الملاحة في مضائق تيران . ورغم أن مبادرة روجرز قد أنهت حرب الاستنزاف فانها لم تمهد لتسوية شاملة بسبب تعنت اسرائيل وتمسكها بالاراضي التي احتلتها في عام ١٩٦٧ ، فكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ودبلوماسية المكوك التي اقترنت باسم وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر الذي عمد الى توثيق علاقاته مع الرئيس المصري انور السادات الذي بدا بدوره على استعداد لتطوير التقدم خطوة خطوة في محادثات السلام ، وبذلك يمكن حل مشكلتي سيناء وقناة السويس ثم شرم الشيخ وغزة وقضية فلسطين ثم القدس والجولان . ولقد ابدى الرئيس السادات استعداده لتقديم الضمانات التي طالبت بها اسرائيل زمنا طويلا : فحرية الملاحة في خليج العقبة والبحر الاحمر وتمركز قوة دولية ثابتة في شرم الشيخ ــ كل هذا يمكن التوصل اليه متى ما أعيدت سيادة مصر على الاراضي التي احتلتها اسرائيل .

وتبقى مشكلة الشرق الاوسط حتى الان دون حل شامل وذلك لان اسرائيل تصر على الاحتفاظ ببعض المكاسب التي جنتها من عدوان ٥ يونيه ١٩٦٧ ، ولانها تتجنب مواجهة مسألة التوصل الى حل معقول للمشكلة الفلسطينية . وبطبيعة الحال لن يتم التوصل الى حل لمسألة المرور في مضائق تيران الا في اطـــار التسوية الشاملة التي تجد قبـــولا من المملكة العـــربية الســـعودية والاردن باعتبارهما من الدول المشاركة في خليج العقبة . حقيقة أن مضائق تيران وخليج العقبة قد قلت أهميتها نسبيا خلال حرب أكتوبر حين سيطر العرب على مداخل البحر الاحمر واغلقوها في وجه الملاحة الاسرائيلية . الا ان الامر بحاجة الى حلول تتمشى مع مصالح جميع الاطراف لكل بؤر النزاع ومنها مضائق تيران التي هي في الواقع مياه عربية ولكنها تشكل مدخلا لخليج العقبة الذي تعتبره الدول الغربيةعلى الاقل ممرا دوليا تنطبق عليه القوانين الدولية التي تحكم الممرات الملاحية المشابهة .

بعض المصادر العربية

ــ **احمد عبد الرحيم مصطفى** . مشكلة قناة السويس . القاهرة ، ١٩٦٦ .

الولايات المتحدة والمشرق العربي. الكويت١٩٧٨ .

- **محمد حسنين هيكل** • الطريق الى رمضان • بيروت ، ١٩٧٥ .

- **مجلة الحوادث اللبنانية** . ما لم ينشر عن حرب ١٩٦٧ . بقلم هـ.ج. جانسن (عدد ٢٣ ، نوفمبر ١٩٧٢) .

- **مركز الدراسات الاستراتيجية ، الاهرام • مصر وامريكا** • القاهرة ، ١٩٧٦ .

بعض المصادر الاجنبية

- Agwani, M.S. **The West Asian Crisis.** Meerut, 1968.
- Arakie, Margaret. **The Broken Sword of Justice: America, Israel and the Palestine Tragedy.** London: 1973.
- Berger, Earl. **The Covenent and the Sward: Arab- Israeli Relations, 1948-1956.** London: 1965.
- Grosbie, Sylvia Kowitt. **A Tacit Alliance: France and Israel for Suez to the Six Day War.** Princeton University Press, 1974.
- Dadd, C.H. and Sales, M.E. **Israel and the Arab World** London: 1970.
- Eden, Sir Anthony. **Full Circle.** London: 1960.
- Eisenhower, Dwight. **Waging Peace, 1956-61.** Heinemann, 1966.
- Farnie, D.A. **East and West of Suez: The Suez Canal in History, 1854-1956.** Oxford: 1969.
- Finer, Herman. **Dulles Over Suez.** London: 1964.
- Kurzman, Dan. **Genesis 1948: The First Arab-Israeli War.** London: 1972.
- Laquear, Walter S. **The Road to War: The Origins of the Arab-Israeli Conflict.** London: 1968.
- Love, Kenneth. **Suez - The Twice Fought War.** London: 1972.
- Nutteing, Anthony. **Nasser.** London: 1972.
- O'Ballancc, Edger. **The Third Arab-Israeli War.** London: 1972.
- Pranger, Robert. **American Policy for Peace in the Middle East.** Washington: 1974.
- Safian, Nadar. **The United States and Israel.** Haravrd: 1963.
- . **From War to War - The Arab - Israeli Confrontation, 1948-1967.** New York: 1969.
- Schmidt, Dana Adams. **Armageddon in the Middle East.** New York: 1974.
- Stevens, Robert. **Nasser.** London: 1971.